

# أصوات المصريين بالخارج: هل ستغير قواعد اللعبة؟

بقلم

د. أيمن زهري

خبير السكان ودراسات الهجرة

azohry@zohry.com

بعد أن بدأ تسجيل المصريين بالخارج في كشوف الناخبين عبر الموقع الإلكتروني الذي أعدته اللجنة العليا للانتخابات لهذا الغرض وفتح سفارات مصر وقنصلياتها بالخارج أمام راغبي التسجيل إعتباراً من يوم الخميس 10 نوفمبر ولمدة أسبوع، بات من المؤكد مشاركة المصريين بالخارج في حق حرّموا منه لسنوات طويلة وهو التصويت في الانتخابات التي تجري في مصر، سواء كانت برلمانية أو رئاسية بالإضافة إلى الإستفتاءات، مثلهم في ذلك مثل المصريين المقيمين في مصر. وعلى الرغم مما يكتنف هذه التجربة من صعوبات إجرائية وقانونية كثيرة، إلا أنها تعد بادرة طيبة من القائمين على شؤون البلاد في تلك المرحلة المفصلية من تاريخ مصر لم تكن لتتحقق لولا الضغوط الشديدة التي مارسها مصريو الخارج بمعاونة مجموعة كبيرة من الناشطين بالداخل لتمكينهم من حقهم المسلوب.

وإن كان التسجيل في كشوف الناخبين بالخارج يتم من خلال الموقع الإلكتروني، وهو الأسهل، والتسجيل في السفارات والقنصليات، والذي ربما لا يتاح إلا للقاطنين في عواصم الدول والمدن الكبرى التي توجد بها قنصليات مصرية بالخارج أو المقيمين في مدن قريبة من تلك المقار، إلا أن أحداً لم يتساءل عن الإقبال المتوقع للمصريين بالخارج على التصويت أو إلى من ستذهب أصواتهم سواء في الانتخابات البرلمانية – الشعب والشورى – أو الانتخابات الرئاسية القادمة.

أغلب الظن أن الإقبال الكثيف الذي شهدته عملية التسجيل في كشوف الناخبين بالخارج، خاصة التسجيل الإلكتروني عبر الموقع الإلكتروني المخصص لذلك، لن يتناسب مع إقبال المصريين على التصويت في

المقار الانتخابية بالخارج والتي ستكون في أغلب الأحوال قاصرة على السفارات والقنصليات المصرية بالخارج. وعلى سبيل المثال، فإن المملكة العربية السعودية التي يوجد بها أكثر من مليون ونصف مصري يوجد بها قنصليتان في كل من الرياض وجدة، ولا أتصور أن المقيمين في المنطقة الشرقية سوف يتكبدون عناء السفر وتكلفته من الدمام – على سبيل المثال – الى الرياض لمسافة تقارب 400 كيلومتر للإدلاء بأصواتهم، أو أن ينتقل أحدهم من تبوك الى الرياض لمسافة تزيد عن 1300 كيلومتر للغرض ذاته. أضف الى ذلك أنه وإن تحقق ذلك، سوف تواجه القنصليات زحاما غير مسبوق لا يستطيع من خلاله المصريون بالخارج من الإدلاء بأصواتهم حتي وإن فتحت أبواب تلك القنصليات أمام الناخبين من مطلع الفجر حتى منتصف الليل.

الحال كذلك أيضا في كل من الأردن وليبيا اللتان تعتبران من الدول المستقبلية للعمالة المصرية غير الماهرة. فعلى الرغم من محدودية المساحة الجغرافية للأردن والقدرة النسبية للمصريين على التوجه لمراكز الاقتراع إلا أن الغالبية العظمى من العاملين في الأردن يمثلون فئة الشباب من العمالة غير الماهرة التي ربما لم تذهب الى صناديق الاقتراع في مصر من قبل. والحال أيضا في ليبيا يشابه الحالة الأردنية، ناهيك عن عدم الاستقرار الأمني هناك، إلا أن الإتساع الجغرافي الشاسع لليبيا قد يحول دون توجه الناخبين المصريين المحتملين الى مراكز الاقتراع في كل من طرابلس وبنغازي.

إذا إنتقلنا للشاطئ المقابل للبحر المتوسط، في أوروبا ربما نتوقع كثافة أعلى في التصويت نظرا لأن المطلب الخاص بتصويت المصريين بالخارج كان أحد أهم مطالب الجاليات المصرية هناك كما هو الحال في أمريكا الشمالية. ولكن ربما تكون كثافة التصويت في أوروبا أكثر من أمريكا الشمالية نظرا للمحدودية الجغرافية للقارة الأوروبية. أما بالنسبة لأمريكا فعلى الرغم من وجود خمسة قنصليات مصرية هناك إلا أن الإتساع الجغرافي للولايات المتحدة الأمريكية قد يحد من قدرة المصريين هناك على الإنتقال لمراكز الاقتراع.

لمن ستذهب أصوات المصريين بالخارج؟ يخشى البعض من تصويت المصريين بالخارج ويحسبون أنه ربما يصب في ساحة الليبراليين والعلمانيين وذلك نظرا لتأثرهم بأجواء الحرية "المطلقة" في بلاد المهجر. ينسى أو يتناسى أو ربما يجهل أصحاب هذا الرأي أن النسبة الغالبة من المصريين بالخارج – 75 بالمائة تقريبا – يقيمون في دول الخليج العربي وليبيا والأردن، وهي كما نعلم ربما تكون أكثر تشددا من مصر، بل أن

أصحاب هذا الرأي يجب أن يخشوا من تأثير المد الخليجي – إن كانوا يخشونه – على نتائج الإنتخابات وليس المد الليبرالي العلماني الغربي!

المصرون بالخارج لا يمثلون بالضرورة كتلة تصويتية واحدة، ولا أعتقد أن تصويتهم سوف يكون له تأثير يذكر في الإنتخابات القادمة لأن نمط تصويتهم سوف يكون الى حد كبير مماثلا لنمط تصويت المصريين بالداخل، وعلى ذلك فتصويتهم قد يرفع عدد المشاركين في الإنتخابات – إن شاركوا بكثافة – وهو ما لا أتوقعه للأسباب آنفة الذكر، ولكنهم لن يغيروا نمط التصويت، وأقصد بنمط التصويت توجهاتهم نحو التيارات السياسية السائدة، الليبرالية واليسارية وأحزاب وجماعات الإسلام السياسي. فالمصريين بالخليج ربما يتأثروا بالجو العام الذي يعيشون به وتكون توجهاتهم نحو مرشحي التيار الإسلامي، بينما يتوقع أن تذهب أصوات المصريين في الغرب الى التيارات الليبرالية واليسارية. وعلى الرغم من أن المصريين في البلدان العربية عائدون الى مصر لا محالة نظرا لطبيعة هجرتهم المبنية على العمل وأنهم ربما يكونوا أكثر تأثرا بنتائج الإنتخابات من المصريين في الغرب الذين إستقر بهم المقام في الغرب هم وأسرهم، إلا أنني أتوقع أن يكون إقبال المصريين في الغرب أكثر من لإقبال المصريين في الخليج.

خلاصة القول أعتقد أن مسألة تصويت المصريين في الخارج في الإنتخابات البرلمانية والرئاسية وأيه إستفتاءات قادمة هي حق عاد لأصحابه وأنه ليس منحة، ولكنني في ذات الوقت أعتقد أن مشاركة المصريين في الخارج في التصويت لا تعدو إلا أن تكون مسألة رمزية مدفوعة بعاطفة متأججة في المشاركة في تشكيل مصر الجديدة بعد الثورة، وربما يكون أهم ما يمكن أن ننتهي إليه من خلال هذه التجربة – في هذه المرحلة الإنتقالية - هو ربط المصريين بالخارج ببعثاتهم الدبلوماسية وكسر حاجز التوجس الذي خلفته الحقبة السابقة بين المصريين في الخارج وممثليهم.